العرب
الثلاثاء 2019/09/10
السنة 42 العدد 11463

المسرح الحديث يفجّر العُلبة التقليدية ويحضّ على التحرّر والتغيير

السخرية والتمرد والجنون.. ملامح عروض القاهرة للمسرح التجريبي

«أفيون» عرض سوري- ألماني عن الحوار والتصادم بين الثقافات والحضارات

شريف الشافعي
كاتب مصري

تأتي العروض الممثلة لأربعين دولة عربية وأجنبية في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي حافلة بظواهر وثيمات مشتركة، تشكل ملامح عامة لهذه المسرحيات المتمردة، التي تأخذ على عاتقها مسؤولية إحداث أثر لافت وحالة حراك في المشهد المسرحي الراهن.

القاهرة – عبر سلسلة من العروض الطليعية الجريئة، المتحللة من قيود العُلبة المسرحية التقليدية، يفتتح مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي "دورته الـ26، الثلاثاء، على أعمال مبتكرة جديدة، تمثل مصر والدول العربية والأفريقية والأجنبية المشاركة، والولايات المتحدة "ضيف الشرف".

وتحفل هذه العروض بسمات متطورة في الأفكار والأداء والآليات القائمة على التكنولوجيا، والمزج بين الفنون المختلفة وعناصر الإمتاع والإبهار المتعددة.

وتشترك مسرحيات المهرجان، الذي يمتد حتى 19 سبتمبر الجاري في أبجديات يمكن تعيينها أوليا، من أبرزها انتهاج السخرية وسيلة للنقد والإضحاك، والحضّ على الثورة والتحرّر والتغيير، والتسلّح بالعشق والحلم والجنون في مواجهة عالم مادي صارم، تحكمه القسوة ويسوده العنف والقهر والتلوّث والدمار.

> جل عروض المهرجان تحفل بسمات متطورة في الأفكار والأداء والآليات القائمة على التكنولوجيا والمزج بين الفنون المختلفة

ومن أبرز إيجابيات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح المعاصر والتجريبي، اتساع دائرة العروض المشاركة فيه، لتشمل دول العالم المختلفة بتياراتها واتجاهاتها المتنوعة، الأمر الذي يجعله على رأس الفعاليات المسرحية، والفنية عموما في مصر والوطن العربي، منذ انطلاقته الأولى في عام 1988، ككرنفال دولي برعاية وزارة الثقافة المصرية، يهدف إلى استقبال أحدث العروض المسرحية، وعقد المؤتمرات العلمية والورشات المتخصّصة، وتكريم الشخصيات المسرحية النابغة حول العالم.

وعلى الرغم من انتماء العروض المشاركة في "التجريبي 2019" إلى مسارح أربعين دولة عربية وأجنبية، منها: مصر، سوريا، الإمارات، تونس، المغرب، العراق، الكويت، ألمانيا، الولايات المتحدة، كوسوفو، البرازيل، سويسرا، الكونغو، جنوب أفريقيا، وغيرها، فإن القراءة الأولية لأبرز العروض المشاركة من خلال معطياتها المضمونية والفنية المتاحة، تقود إلى صفات وخصائص تقرّبها من بعضها البعض، في إطار لغة الفن المشتركة.

رغبات إنسانية

يغوص العرض السوري "اعترافات زوجية" لفرقة المسرح القومي السوري، من إخراج مأمون خطيب، في أعماق الرغبات الإنسانية الدفينة، وعلى رأسها التحرّر، وتحقيق الذات، والتمرّد على القيود، ويتّخذ من العلاقات الزوجية مدخلا لاستعراض الحقوق والواجبات المنوطة بالذكور والإناث في المجتمع.

وتفتح المسرحية، لمؤلفها الفرنسي إريك إيمانويل شميت، الباب واسعا لتأويلات وذرائع للكشف عن الضغائن والمشاعر المتوارية في الصدور. ويشكّل الكلام وسيلة لفضح ما هو مستتر لدى الإنسان، انطلاقا من مقولة سقراط "تكلم لكي أراك".

ويسلك المسرح مسارا حديثًا بتحوّله إلى عيادة نفسية في العرض الإماراتي "الساعة الرابعة" لفرقة جمعية الشارقة للفنون الشعبية والمسرح، من إخراج إبراهيم البيرق، حيث تعاني جميع الشخصيات من مرض الوسواس القهري بأنواع مختلفة، ومن خلال جلسات العلاج والحكي في عيادة الطبيب، تتشابك قصصهم وخطوط حياتهم، ويختلط الواقع بالخيال وتتبلور الرغبة العامة في "الانفلات".

وفي الإطار التجديدي الثوري، يأتي العرض السوري – الألماني "أفيون"، لشركة حركة للرقص، حاملا رؤية أسامة الحفيري الفنية التي تفلسف الصراعات بين البشر من خلال تساؤلات الوجود وعلاقات التحاور والتصادم بين الثقافات والحضارات، ويحمل "الإدمان" معنى رمزيا للجوء الإنسان إلى العزلة والوحدة حال تقطع الأواصر بينه وبين الآخرين، في إطار من السخرية ومزج الجد بالهزل والحقيقة بالمجاز والتعقل بالجنون.

ويفجّر العرض العراقي "سندباد"، للفرقة الوطنية للتمثيل، من إخراج أحمد عبدالأمير، العُلبة المسرحية التقليدية بأداء إيمائي صامت، ينتمي إلى فن "مايم خيال الظل"، وهو عرض تجريبي يستخدم التقنيات الرقمية وبرمجيات الكمبيوتر الحديثة والمونتاج الصوري والفيديوي والمؤثرات والأداء التفاعلي الإيمائي لإنتاج المشاهد الظلية.

ويثير العرض الجريء جدلية الوجود والعدم، وتمثل فيه شخصية "السندباد" السفير المادي والروحي للإنسانية المعذّبة التي تبحث عن التغيير وتحقيق الاستقرار والأمان الروحي، وتتمرّد على الواقع العراقي، الذي هو مرآة صغيرة للواقع العالمي.

وعلى منوال مخالفة المستقرّ السائد يغزل العرض المصري "بهية"، لفرقة فرسان الشرق للتراث، عن رواية نجيب سرور "ياسين وبهية"، من إخراج كريمة بدير، إذ يعيد طرح قصة العشق الأسطورية بين الحبيبين بمعالجة مغايرة، وكذلك يعيد طرح التساؤل الفلكلوري الوارد في المواويل الشعبية "من قتل ياسين؟"، وهنا يحرّك العرض إسقاطات سياسية واجتماعية بالإشارة إلى أن الباشا الإقطاعي المسيطر على الناحية هو الذي قتل ياسين، انتقاما منه، لأنه حرّض أهل القرية على الثورة، وقادهم إلى إحراق قصر الباشا، رمز القسوة والقهر والجبروت.

وإلى عالم الأحلام والجنون والفانتازيا، حيث العرض البرازيلي "دار الأحلام"، من إخراج هينريك سيتشن، وفيه ينطلق ثلاثة رجال (مجاذيب) من الجوعى، في رحلة خيالية بحثا عن الطعام، في الصحراء وقاع البحر والفضاء الخارجي، وتتشكّل الشخوص الإبداعية غير النمطية من الملاعق والأكواب والزجاجات والمناديل والمقالي وغيرها من أدوات المطبخ، التي تنضم إلى خيالاتهم ومغامراتهم المذهلة، فهل كانوا فعلا مجانين، أم أن العقلاء هم المجانين؟

كوميديا الاحتجاج

في توليفة مسرحية فيها ما هو فني وما هو أخلاقي، يمزج عرض "البخيل" من كوسوفو، من إخراج إليز نورا، بين السخرية والكوميديا والمبالغة الكاريكاتيرية في رسم الشخصيات، لتصوير هشاشة المال والحب، وللاحتجاج على الشر والبخل والضآلة.

أما العرض الكويتي "جزء من الفانية"، للمخرج عبدالعزيز النصار، فإنه يقدّم من خلال أحداثه الجريئة صورة لاضطهاد السلطات الديكتاتورية وتأثيرها على حياة الإنسان البسيط، وانعكاس هذا الاضطهاد على حياته.

وعلى غير المعتاد في عروض الأداء التعبيري الجسدي، فإن عرض "النظام" من جنوب أفريقيا، من إخراج سيفيمو موتسويري، يسرد عبر الحركات والرقصات والإشارات قصة الفقر، ويترصّد أحوال المجتمعات التي مزّقتها الجريمة والظلم والخيانات، كما يصوّر علاقات الصداقة وقيم المجتمع الجنوب أفريقي اليوم، من خلال خبرات حياتية عاشها ثلاثة من الشباب السود الذين تعرّضوا للاضطهاد والسجن.

ويقتحم المسرح الحديث عصر الآلة والميكنة، حيث يتقصّى العرض المصري "ديستوبيا" للمخرج محمد الخشاب، التناقضات التي يعيشها الإنسان بين سيطرة الآلة وتجمّد المشاعر الإنسانية بين التعبير عن حقيقة المشاعر وصورتها (ديستوبيا)، في حين يخون الإنسان خياله وأفكاره ونفسه من أجل الاستقرار وليس الطموح.

ويتحوّل المسرح من خلال العرض التونسي "دون كيشوت" للمخرج معز العاشوري، إلى ميدان توثيقي لواقعة اجتماعية سياسية، حدثت قبل الثورة التونسية ما بين عامي 2004 و2005، حيث يوثّق العرض حكاية الثنائي؛ عزيز (المخرج المسرحي) وحبيبته عزة (الممثلة)، اللذين تعرضا معا لمراقبة أمنية سرية وهما بصدد إنتاج مسرحية بعنوان "دون كيشوت تونس".

ويتطرّق المسرح الحديث إلى قضايا مجتمعية ملحّة وحساسة من قبيل الاستغلال الجسدي، كما في العرض المغربي "علاش؟" (لماذا؟) للمخرج عبدالفتاح عشيق، ويصوّر حياة امرأة في جبال المغرب أفنت عمرها في البحث عن لقمة عيش لأطفالها الثلاثة، فوجدت نفسها أمام مجتمع يحرمها أبسط حقوق العيش، بل يتجاوز ذلك إلى الاستغلال الجسدي، والاغتصاب النفسي قبل المادي.

وفي الفلك ذاته يدور العرض السويسري "تحيا الحياة"، من إخراج أندري بيجنات، ويصوّر الصراعات الإنسانية وتحوّلات المجتمع من الريفي إلى الافتراضي، عبر الأغنيات والرقصات والأداء والتمثيل وألعاب السيرك والموسيقى. كما يجدّد العرض الوعي بالتاريخ، وتأكيد أن العالم ليس إلاّ طاقة تندفع إلى الأمام ولا يمكنها التراجع أو التوقف.

ويشمل برنامج الدورة الـ26 من القاهرة الدولي للمسرح التجريبي كذلك محاضرات عن "التمثيل" و"الأسطورة والواقع" و"علاقة الممثل بالمخرج" و"المسرح الموسيقي"، وورشات عمل حول "التعبير الجسدي" و"الإضاءة" و"المسرح الراقص" وغيرها.

بنات أفكار شفاء هادي.. بنات العراق المشتهى

وارد بدر السالم
روائي عراقي

لم تكن البيئة معطىً جغرافيا يتشكل من الطبيعة والعناصر الاجتماعية فحسب، إنما هو علاقة نفسية مباشرة بين مكوناته المختلفة، وهو هضم متواصل لتلك العناصر والمكونات بغرض إعادة إنتاجها أفكارا جديدة بمشروع فني يتخطى زمنيته إلى أبعد منها، مشيرا إلى وعي آخر فيه من النضج ما يكفي أن يكون دالا لمدلول اجتماعي ومكاني وزمني في تركيبته الأخيرة. ولعل الفن التشكيلي يستطيع أن يتمثّل هذا الهضم الفني والتعبيري بأساليبه الفنية وقدرته على الإمضاء التعبيري في معالجة ثنائية الواقع والخيال.

مثل هذا الهضم الفني جسّدته التشكيلية العراقية شفاء هادي في معرضها البغدادي الأخير الذي حمل عنوان "بنات أفكاري" ليكون العنوان دلالة نفسية تؤكد العلاقة الشخصية بالمكان، وهي تعيد إنتاجه لونيا بريشة متحركة اهتمت كثيرا برسم الشخصيات الاجتماعية من قرويين وفلاحين وبنات وصبيان. مع استذكار واختيار عناصر المكان التي ركزت عليها بتقنية اللون والتجريد أيضا، كالأسماك والمسبحة والسجادة والمغزل والثياب والحمامة والزوارق النهرية والماء والنخل والخلخال والأقراط والزي الشعبي.

انقسم المعرض الشفائي إلى زاويتي نظر تفترقان في المكان وتلتقيان في الفن وجمال الخيال فيه. فالمعطيات الريفية والقروية أشارت إلى مكان جنوبي له فراديته وطقوسه وانفتاحه في الفضاء الفني، بينما أشارت المعطيات الأخرى إلى المكان البغدادي الطفولي وتوابعه الكثيرة التي أغنتها الفنانة بالبحث اللوني الأكثر شفافية، لذلك نستشف علاقة الفنانة شفاء بالمكان عبر أفكار شخصية تشبه الولادات واحتضانها ضمن بيئة تكرّس مثل هذه الأفكار وترعاها، عبّرت عنها بـ"بنات"، ولذلك نجد في المعرض مفردات البيئة مع أشخاصها ضمن متوالية يومية شعبية وفولكلورية عبر حركات لونية غامقة أو ساطعة. تفترعها المرأة بأشكالها النفسية الواقعية والخيالية بإطار تنفيذ رسم مُمَخْضة المكان وما فيه من سحر ريفي قروي، ومن معطيات جاذبة للبقعة الريفية المعتادة في الجنوب العراقي. يوازيها في الجمال المكان الطفولي البغدادي الأثير.

ومع الواقعية بتعبيريتها الرصينة واشتغالاتها الفنية اللافتة بصريا، ومع التركيز على الحس القروي الريفي الملهم في أجوائها الخاصة، بدت الفنانة العراقية شفاء أكثر قدرة على تصميم المكان والنفاذ في جوهره الاجتماعي واختراق نسيجه الفردي والعام، لإعادة تشكيله وفق رؤية أكثر التحاقا بالفن وجمالياته من خلال الرصد الشامل لحركة الواقع وتشخيصه، وبالتالي أعطت للشكل الخارجي حركية جذابة ماهرة بفضل الاستخدام الأمثل للون والإكثار منه لتوطيد صلته البيئية والواقعية، محاولة أن تبتكر لها شكلها الذي يشير إليها من دون تأثيرات محتملة.

وهي محاولة جريئة لفنانة مجتهدة لها بصمتها الخاصة في الحركة التشكيلية العراقية، ولهذا سمّاها الناقد ناصر شاكر الأسدي بـ"ظاهرة ثورية ساهمت في تفكيك الشكل السائد..."، وتحدث الناقد عبدالجبار خزعل عن جماليات الأشكال في لوحات الفنانة شفاء، فقال "تبدو الأشكال فيها منظورة بعين الواقع والخيال..". وهذه المزاوجة الفنية برّرت طاقة اللون وسطوعه الحاد وشكل اللوحة الداخلي الذي ينتمي إلى عنصري الواقع والخيال.

ومن الطبيعي أن يقول عنها الفنان التشكيلي المخضرم وليد نصرالله "في لوحتها نشيد لوني راقص"، هذا النشيد الطفولي المكتنز في ذاكرة الريشة واللوحة هو المُعْبَر الأخير لبيان جماليات الواقع القديم في رقصة المكان وبهائه.

> الفنانة العراقية شفاء هادي اشتغلت على الموضوعة الفولكلورية والشعبية والتراثية بغرض أسطرة الواقع أسلوبيا وجماليا

اشتغالات الفنانة شفاء هادي على الموضوعة الفولكلورية والشعبية والتراثية بغرض أسطرة الواقع أسلوبيا، جعلت لوحاتها ذات مرجعيات تكنيكية بإنشاءاتها اللونية الباهرة التي أغرقت أعمالها بأصغر وأدق التفصيلات، حتى لتبدو أن لوحتها عبارة عن لوحات متضامنة داخل الإطار لتشكّل بُعدها الأسطوري المحلي في تضمينها إكسسوارات أو مقطعات موازية للبناء الشكلي في معظم أعمالها، عدا المكان البغدادي الذي شاعت له أن ينعزل بألوانه الخافتة، لاسيما الأبيض و"الأزرق التركوازي" والأصفر الفاتح.

وفي عموم هذه التجربة الفنية، تتميز الواقعية عند الفنانة شفاء هادي بأنها مصدر ومرجعية بيئية وذاكرة مكتظة بما هو جزئي في سحريته التعبيرية التي أتقنتها الفنانة أكاديميا بأسلوب عالي المستوى وتكنيك بارز في هذه الأفكار التي أنتجتها بقوة.

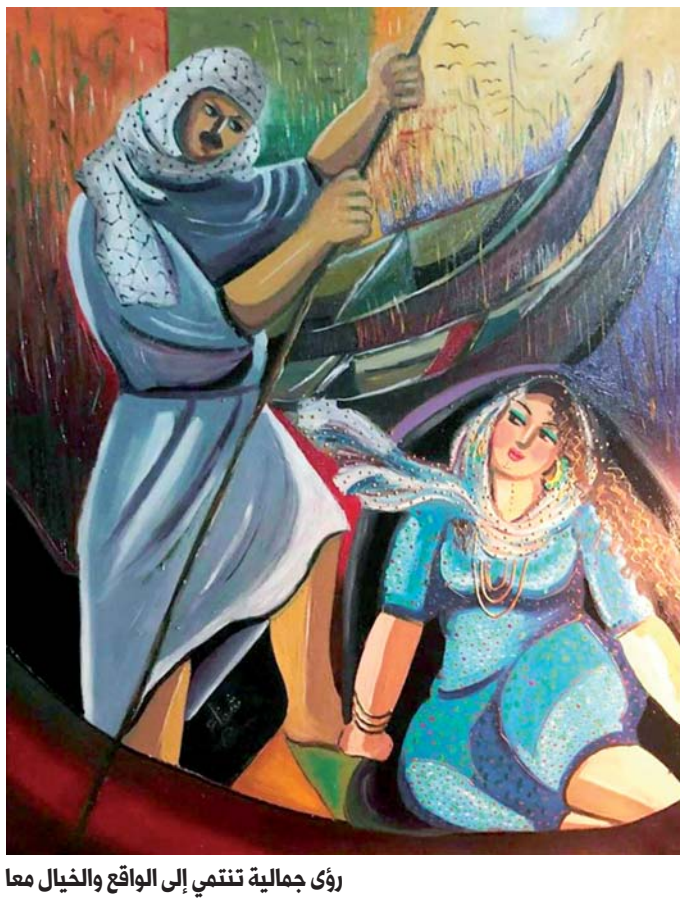

رؤى جمالية تنتمي إلى الواقع والخيال معا